

حتى لا يسع الا الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويتسع عند بعض الناس حتى يشمل كل شيء .

وفي الحق أن هناك مناحي للحياة مختلفة متعددة يجب أن ينظر اليها كلها لتقويم الرقي - ففي كل أمة مجموعة من المرافق ، يعد كل مرقق منها كالحلية في الجسم الحي : من حكمة وتعليم ولغة ودين وأسرة ونظام اقتصادي ونحو ذلك ، كلها تتغير وكلها ترقى أو تنحط ، وكلها في حركة مستمرة دائماً إما الى الامام وإما الى الخلف . وكلها تتفاعل تفاعلاً قوياً ، يؤثر قوتها في ضعيفها ، وضعيفها في قويتها - وهذا التغير الدائم في كل هذه المرافق هو مقياس الرقي والانحطاط ، فان كان تغييراً الى سمو فرقى ، وان كان تغييراً الى تدهور فانهطاط

وحسبان هذا ليس بالأمر اليسير ، فقد تدهور بعض المرافق لأسباب خاصة ، وتسمو بعض المرافق لأسباب كذلك ، ثم تتفاعل عوامل الضعف والقوة فينشأ من ذلك عملية حاسمة من أصعب المسائل حلاً . والمثل الأعلى للأمة أن يكون كل مرقق من مرافقها الاجتماعية يؤدي عمله خير أداء ، ويتنقل في سمو أبداً ، وأن يكون سيره وركبه في حالة ملائمة ومناسبة لسائر المرافق الاجتماعية ، لا يطرر عنها ولا يقعد بها - فالأمة التي تختار أحسن النظم في التربية والتعليم ولا تساعد اللغة على المصطلحات الحديثة لا ترقى في التربية والتعليم حتى تحل مشكلتها اللغوية ، والأمة التي تختار أحسن النظريات الفقهية وخير النظم القضائية ، ثم لا يعينها على ذلك حالة الاسر الاخلاقية وحالة المعاملات بين الافراد لا يمكن أن ترقى بنظرياتها الفقهية من الناحية القضائية ، والأمة التي تسن أرقى أنواع الإصلاحات الاجتماعية ثم لا تعينها الناحية الاقتصادية تصبح وإصلاحاتها تسر القاريء ولا تسر الناظر وهكذا .

\*\*\*

وهناك دلائل قوية تدل الباحث على رقي الأمة وتدهورها وسيرها الى الامام أو الى الخلف ، إما بمقارنتها بغيرها من الامم في نواح معينة أو بمقارنتها بنفسها في عصرها الحاضر

## مقياس الرقي

للاستاذ أحمد امين

سألتى أديب سورى ، بمناسبة مقال كتبه عنوانه «المسلمون أمس واليوم»

بم نعد أمة أرقى من أمة ، وما العوامل التي نحسبها ونقيس بها الرقي ؟ وفي الأمة الواحدة - اذا سئلنا أ كانت بالأمس خيراً منها اليوم ، أم هي اليوم خيرٌ منها أمس . فأى التواحي نرعاها عند النظر ؟

والحق أنها أسئلة في منتهى الصعوبة ، يحار المجيب عنها أى العوامل يحسب وأياها يترك ، وأياها قيمة كبيرة الأثر وأياها ضعيف الأثر ؟

قد يجيب مجيب اجابة سهلة من طرف اللسان فيقول - « مقياس الرقي في الامم الاخلاق » فأرقى الامم أحسنها خلقاً ولكن هذه الاجابة لا تقنع ، فالاخلاق متغيرة ، وكل عصر له أخلاق يتطلبها وواجبات ينشدها ، وما علينا الآن من واجبات أضعاف ما كان على أجدادنا منها ، أصبح واجباً علينا أن نعلم أولادنا في المدارس ، وما كان ذلك واجبا من قبل انما كان تبراً من الاب ، وأصبح واجبا علينا ترقية الوطن من جهات متعددة وما كان ذلك واجبا من قبل ، وان كان واجبا فواجب غامض ليس بمحدود المعنى ولا معين الاتجاه ، وكان آباؤنا يعدون من أرقى الاخلاق في الامم حجاب نساءنا - وبنا سر متين بين الرجل والمرأة ، فأصبحنا نرى الواجب أن تتعلم المرأة كما يتعلم الرجل ، ومن حقها أن تسمع المحاضرات مع الرجل ، وأن تتمتع بالحياة البرية كما يتمتع الرجل ، فاذا قلنا مقياس الرقي الاخلاق كانت كلمة عامة تدل على كل شيء ولا تدل على شيء .

وقوم يقيسون الرقي بالدين ، وهي كذلك كلمة عامة يختلف مدلولها باختلاف أنظار الناس فيضيق عند بعض الناس

والنزعات الارستقراطية ، وقضت على النظام الاقطاعي الذي يميز بين الطبقات ، ويضع حدا فاصلا بينها لا يمكن تخطيه ووضعت النظم الاقتصادية الحديثة ، وفيها يمكن كل فرد بذل كاته ومواهبه ان يصل إلى ما يستطيع من رقي - وان كانوا هم أنفسهم يصرحون بأنهم لم يبلغوا الغاية في ذلك ، وأن أمامهم عقبات شاقة ومساكن طويلة يجب ان يقطعوها حتى يسبل على كل فرد تحقيق غايته وبلوغ شأوه

\*\*\*

وربما كان كذلك من أهم دلائل الرقي النظر إلى ثروة الأمة ومقدار ما يصرف منها على «الصالح العام» من مدارس ومصانع ومساجد ومتنزهات وحدائق وماء وانارة ونحو ذلك ولست أعني النظر إلى كمية ما يصرف فحسب ، ولكن أعني أيضا كيفية الصرف ، وهل انفق هذا القدر في أحسن السبل وهل هناك وجه آخر خير منه ؟ . كذلك لست أعني ما ينفق في ذلك من ميزانية الحكومة فقط ، ولكن أعني أيضا مقدار شعور الافراد في هذا الباب ومقدار ما تبرعون به من أموالهم لهذا الصالح العام ، فليست ثروة الأمة مقصورة على ميزانية الحكومة ولكنها تشمل ثروة الافراد «وفي أموالهم حق معلوم ، لتسائل والمحروم» فالأمة التي لا يشعر أغنيائها بواجب في أموالهم لفقرائها ، أو يشعرون شعورا ضعيفا لا يقوى على استخراج المال من جيوبهم ، أمة منحطة إذا قيست بغيرها من الأمم التي كثر فيها المدارس والاندية والمستشفيات والجمعيات الخيرية من مال أغنيائها

وما يتصل بهذا الأمر ، النظر في ميزانية الأسر في الأمة وكيف تنفق ، فامة خير من أمة إذا عرفت أسرها كيف توازن بين دخلها وخرجها ، وكيف تفرق بين الضروري والكافي وما ليس بضروري ولا كافي ، ولم تسمح لنفسها أن تصرف في الكمال حتى تستوفي الضروري ، ولا في غير الضروري والكافي - حتى تستوفي الكمال ، فذلك - من غير شك - يجعل الأسر أضعف

وعصرها السابق ، والمقارنة الأولى تدلنا على الدرجة التي تقف عليها الأمة في سلم الرقي العام ، والمقارنة الثانية تدلنا على اتجاه سيرها : إلى فرق أو إلى تحت

من أهم هذه الدلائل تعرف موقف الأمة إزاء ما يحيط بها من ظروف مادية واجتماعية : هل هذا الجيل أحسن استخداما لبيئته وما يحيط به ؟ هل استطاع أن يوجد منابع لثروته وسعاده أكثر مما استطاع أسلافه ؟ هل استخدم المنابع القديمة خيرا مما استخدمها آباؤه ؟ هل كان في حله لما يعرض له من المشاكل الاجتماعية والطبيعية أكثر توفيقا لما عرّضت هذه المصاعب أو أمنا لها لنا ولآبائنا كيف حلوها وكيف حللناها ، وما منهجهم في الحل وما منهجنا ؟ ما مقدار تضامن الافراد يومذاك في التغلب عليها ، وما مقدار تضامتنا اليوم ؟ لكل أمة مقدار من الثروة ، فهل زادت ؟ وهل استطاعت اليوم أن تسعد بروتها أكثر مما كانت تسعدها من قبل ؟ هل استخدمت العلم أحسن مما استخدمه آباؤها قفلت الوفيات وتحسنت صحتها ، وجل منظرها ، ونظفت عيشتها ، وأصبح نيل القوت أسهل وأيسر حتى تفرغ كثير من أبنائها وبناتها للعلم والفن والادب ؟ أظن ان هذه الاسئلة متى حددت بهذا الشكل لم تكن الاجابة عليها عسيرة ، وبذلك نستعين على تعيين الاتجاه ومقدار الرقي ان كان .

\*\*\*

ومن ناحية أخرى ، ربما عد من أكبر دلائل الرقي في الأمة «تذليل العقبات امام الكفايات» فخير الأمم من أفسحت السبيل أمام أفرادها ليرقوا كما يشاؤون حسب استعدادهم وجدهم ، في التعلم ، في الوظائف ، في النواحي السياسية والاجتماعية - وقد قطعت الأمم المتقدمة في ذلك خطوات واسعة ، فازالت احتكار الارستقراطية للنصاب العليا ، وسهلت وسائل التعلم لمن شاء ، واعتمدت في تقدير الاشخاص على مزاياهم لاعلى ينتمون - إلى درجة كبيرة - وحاربت المحسوبية